Arabian Gulf Journal of Humanities and Social Studies

ISSN: 3080-4086

الإصدار السادس - العدد الثامن عشر || تاريخ الإصدار 2026-09-20

دور الرواية العراقية في معالجة المشكلات الواقعية

(نماذج مختارة)

The Role of the Iraqi Novel in Addressing Real-World Issues

(Selected Examples)

م. د. هبة سعد أحمد

Dr. Hiba Saad Ahmed

دكتوراه اللغة العربية - أدب حديث

جامعة الكرخ للعلوم - كلية القانون -قسم القانون

DOI: https://doi.org/10.64355/agjhss61838

مجلة خليج العرب للدراسات الإنسانية والاجتماعية || هذه المقالة مفتوحة المصدر موزعة بموجب شروط وأحكام ترخيص مؤسسة المشاع الإبداعي(CC BY-NC-SA)

الملخص:

تحاول هذه الدراسة بالاعتماد على نماذج مختارة من الرواية العراقية صدرت بعد عام 2020 لروائيين عراقيين البحث عن دور النص السردي الروائي في عرض الحلول الممكنة لمشكلات الواقع الذي يعيش فيه الفرد العراقي كحال الرواية العربية، وممّا لا شك فيه أن الروائي العراقي لم يغفل الواقع العراقي من قبل 2003 ومن بعدها لأنها فترة زاخرة بالأحداث والانتكاسات التي أربكت وضع المجتمع العراقي واضعفته، مما أدى الى ظهور مشكلات عديدة(سياسية، واجتماعية، ودينية، واقتصادية) تحتاج وضع الحلول المناسبة للنهوض بالواقع وتغييره نحو الأفضل. وهذا ما دفعني لدراسة هذا الموضوع لبيان قدرة الروائي العراقي في معالجة مشكلات الواقع عن طريق نص روائي يقوم على عرض المشكلة وبيان طريقة المعالجة بلمسة فنية إبداعية لا تخلو من الخيال ليكتمل بذلك أهم ركن من أركان نجاح العمل السردي الواقعي.

الكلمات المفتاحية: الرواية العراقية، الواقع، المشكلات ، السرد.

Abstract:

This study, relying on selected examples of Iraqi novels published after 2020 by Iraqi novelists, attempts to explore the role of narrative fiction in presenting possible solutions to the problems of the reality experienced by the individual Iraqi, as is the case with the Arabic novel in general. Undoubtedly, Iraqi novelists have not neglected the Iraqi reality before and after 2003, as this period is replete with events and setbacks that disrupted and weakened Iraqi society. This led to the emergence of numerous problems (political, social, religious, and economic) that require appropriate solutions to improve and transform the reality for the better. This is what motivated me to study this topic, to demonstrate the ability of Iraqi novelists to address the problems of reality through narrative texts that present the problem and explain the solution with an artistic and creative touch, not devoid of imagination, thus fulfilling a crucial element of the success of realistic narrative works**.**

Keywords: Iraqi novel, reality, problems, narrative.

المقدمة:

ممّا لا شك فيه أنَّ الرواية هي جنس أدبي لا حدود لها نظرياً، فهي تتسم بمرونة شكلية هائلة سواء في التعبير عن الفرد أو المجتمع، أو الاعتراض عليهما، ولذلك توصف من قبل النقاد بأنها نوع لا يخضع الى قواعد ثابتة، وأن التغيير والمرونة اللانهائية من أهم صفاتها خاصة من حيث الشكل الذي يظل مفتوحا دائما، كما أنها تحظى بحرية مطلقة في عرض الموضوعات المختلفة، فهي كمادة سيميائية(رمزية) معقدة وغير متجانسة تستعصي على التصنيف وتقاوم كل محاولة تعريفية.[1]

الرواية هي فن المدينة، وأنَّ مجتمع المدينة بطبيعته هو أكثر أنواع المجتمعات تغيراً واستجابة للتجديد وتمثلاً للتحولات، ومن الطبيعي أن تستجيب الرواية لمتغيرات هذا المجتمع وتحولاته بفعل التغير وما ينتج عنه[2].

الإطار النظري

تعدُّ الرواية بشكل عام المرآة العاكسة للواقع وصداه، لكنها ليست الواقع نفسه، هي استجابة لمتغيراته، وهي خير من يمثل الواقع الاجتماعي بنكهة خيالية، إذ يستطيع أن يوظف الروائي العوالم الممكنة في الواقع ويحولها الى عوالم سردية إبداعية مختلفة بالاعتماد على عناصر ثقافية واجتماعية وسياسية وحتى تاريخية وفكرية دون حصول انفصال أو انقطاع في السرد. ولا يخفى أن استبعاد هذه المكونات يؤثر بشكل سلبي على العملية الإبداعية، ويمنعه من تحقيق مصداقيته الأدبية، فيفقد بذلك الرواية دورها الحقيقي، والمتمثل بنقل الواقع بحذافيره[3].

[1] ينظر: الزمن في الرواية ، د. جابر عصفور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999، ص: 37-64.وينظر:الرواية الاستقصائية(تأصيل المصطلح وتطبيقاته سعد محمد رحيم إنموذجاً)، محمد جبير، دار نينوى، 2019، دمشق- سوريا.ص: 51-52

[2] ينظر: جماليات الرواية العراقية، د. نجم عبدالله كاظم، دار شهريار،ط1، البصرة – العراق،2018.ص:60.

[3] ينظر: الرواية والواقع.. أشكال العلاقة، رشدي الخديري،(مقال الكتروني)، 4/نوفمبر/2022، ضفة ثالثة،diffah.alaraby.co.uk

ومن المسلم به في نواميس النص السردي الروائي أنّها تعكس الواقع فهي مرآته وصداه، لكنها ليست الواقع نفسه، فهذا النص يأخذ من الواقع مشكلاته وقضاياه لكن الشخصيات والزمان والمكان من خياله الخلاق حتى يصح أن نُطلق عليها عملية فنية إبداعية. يستوحى الروائيون مادة نصوصهم السردية من الواقع بمشاكله الاجتماعية الفساد السياسي والفقر والبطالة واستغلال الانسان وغيرها الكثير وأهمها المرأة[4].

لا يغيب عن البال أن غاية الأدب التعبير عن الإنسان، وعن حالته المتشظية، ومهما اختلفت الطريقة أو الأسلوب يظل عالم الأدب هو عالم بشري، والخيال الذي تعدُّ به النصوص الأدبية ماهي إلا القدرة على تشكيل صورة الأشياء والأشخاص ومشاهد الوجود، ولا يأتي ذلك من فراغ، وإنما ينطلق من واقع موجود، فيكون هناك واقع آخر هو حصيلة تفاعل بين ذات الفنان الواقع، إذ أنَّ الخيال لا يستعين في تنظيم مادته بوسائل خارجة عن نطاق الذات الإنسانية بل إنَّ إبداعه لعوالم جديدة يأتي من ارتباطه بالتجارب الشخصية والمدرك الحسي[5]. فالخيال مهما كان بعيداً عن قوانين الحياة ومجرياتها فإنَّهُ لابد من أن تكون المادة الأولية التي تؤلفهُ مأخوذة من الواقع، والفنان مهما أنكر بأنَّهُ: ((لا يصور لنا إنساناً بل كائناً أروع منه، وإذا ما حاول أن يُبدع شيئاً قائماً بذاته ليس له شبه في الواقع، فإنه يسقط عاجزاً دون أن يعطينا شبح ضبابي باهت وغير محدد لا نستطيع أن نتبين منه شيئاً على الأطلاق))[6].

الأنسان لا يُدرك الواقع أو يملكه إلا عن طريق السعي فيه ليُلبي حاجته ورغباته، وأساس هذا التملك هو العمل، ومع الممارسة العملية لتغيير العالم، وأنسنة الطبيعة يُدرك الواقع المحيط به، وبذاته الفاعلة فيه، فيكون الوعي بالواقع وسيلة لتحسين الممارسة وتطويرها، فضلاً عن إيجاد حلول لمشكلات الواقع المعيش، فالإنسان لا يدرك القانون الذي يُسير الطبيعة والحياة إلا بعد أن تتحرك يداه لتعملا، وكذلك عندما ينخرط في المجتمع، فالتملك العملي للواقع إذاً يسبُق جميع أنواع التملك الروحي، ولأن التملك الروحي ناتج عن نشوء الوعي وتطوره، والوعي بدوره ينشأ نتيجة لتملك العالم عملياً.[7]

إنَّ من جوانب التملك الروحي للعالم التملك العلمي والأخلاقي والجمالي، ولا يعطي جانبه العلمي للواقع الأديب القدرة الكبيرة على الولوج إلى أعماق الظواهر إلا من خلال معرفة دقيقة بما يجري حوله وتملكه القدرة على تسليط الضوء على مشكلات المجتمع المهمة لتمثيلها في نص أدبي إبداعي يساعد في إيجاد حلول أو يطرح قضايا معينة بحاجة إلى حل، حتى وإن كان عن طريق الخيال بالاعتماد على طريقة معينة في صياغة محتوى يتناسب مع ما يطرحه الأديب من مشكلات ويضع لها الحلول المناسبة. فالمبدع أو ما يسمى بالفنان الواقعي كالعالم لا يكتفي بتنظيم المحتوى وتثبيت المادة بطريقة ميكانيكية بأمانة، وإنما يُبدع عملهُ عن طريق الانتقاء الواعي للجوانب الإنموذجية والجوهرية التي تكون بحاجة ماسة الى معالجة، وإيجاد الحلول لكن عملية التملك الفنيّ للواقع ذاتها غير ممكنة بدون مساعدة الفكر المنطقي، فأي كاتب يستطيع مثلاً أن يكتب رواية عظيمة دون أن يستعمل في فترة الإعداد للكتابة كل وسائل التفكير العلمي المنطقي، فهذا (تولستوي) لم يكتب رواية (الحرب والسلام) دون أن يقوم بأبحاث تاريخية كبيرة، لولاها لما كان هناك أي معنى لقوته وشهرته الفنية[8].

غاب التيار الواقعي عن الرواية منذ نشأتها في عشرينيات القرن الماضي، إذ تميز النص الروائي العراقي دون غيره من النصوص العربية بارتباطه المباشر بتاريخ العراق وحوادثه السياسية وتحولاته العنيفة سواء كان من خلال ثيمة الرواية أم من خلال شخصياتها وطبيعة الحكاية التي ترويها للقارئ، وقد تجسد هذا التوجه من خلال ((انهماك رواد النص الروائي بالعمل السياسي الميداني المباشر، وقيامهم بدور الداعية والمصلح الاجتماعي والناقد في مقالات نُشرت في الصحافة وقتها، تُناقش الأدب وطبيعته وعلاقته بالمجتمع، وهو ما بلور هذا التوجه ليظل سمة ملازمة للأدب العراقي حتى الآن))[9]. فالرواية العراقية من بعد 2003 وفي ظل الحرية الممنوحة للأدباء بالكتابة والتعبير تعدُّ سجلاً أدبياً حياً لتاريخ العراق الحديث، صور فيه الكُتاب معاناتهم وعذاباتهم في خوض غمار الحروب كجنود، وكذلك تعرضهم للاعتقال والسجن، وسلطوا الضوء أيضاً على تاريخ العراق القريب لمعرفة مسببات مل إليه العراق من خراب وتدمير، كما أن هذه الروايات الحديثة صورت ما تتحاشى ذكره كتب التاريخ المهتمة بتدوين الأحداث العامة وتداعياتها، ومذكرات السياسيين، التي تحاول تجميل ما يحدث وتتجاهل عذابات الفرد[10].

---

[4] ينظر:هل واكبت الرواية العربية المتغيرات المجتمعية، عمار عبد الخالق، (مقال الكتروني)جريدة الصباح،https://alsabaah.iq/53413-.htm

[5] ينظر: الخيال مفهوماته ووظائفه، عاطف جودة نصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط ،مصر. ص:264. وينظر: العجائبية بين الواقع والخيال، ميا فاخر صالح، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، مج: 30، ع:2، 2008.

[6] علاقة النص الجمالية بالواقع، تشرنيتسفسكي، تر: يوسف حلاق، وزارة الثقافة، دمشق- سوريا، 1983.ص:180.

[7] العلاقة الجمالية بين الفن والواقع، د. يعقوب البيطار، مجلة جامعة تشرين، مج: 14،ع:1، ص: 87.

[8] ينظر: م.ن.، ص.ن.

[9] الرواية العراقية: رصد الخراب في أزمان الدكتاتورية والحروب والاحتلال وسلطة الطوائف(دراسة)، سلام إبراهيم، مجلة تبين، ع:2، 2012، ص:10.

[10] ينظر: م.ن ، ص.ن.

يبقى الواقع نقطة الارتكاز لأي عمل فني أدبي إبداعي؛ لأن الاتجاهات الأدبية كلّها تعالج الواقع، وليس هناك أدب لا علاقة له بالواقع، وأياً كانت المعالجة التي تطرأ على الواقع الروائي فإنه واقع تخييلي ، أو بصورة واقع الرواية، إذ أن لشخصياتها ولادة وموتاً ومغامرات في الرواية[11]. ولا يمكن اغفال أنَّ الكاتب الواقعي يأخذ مادة تجاربه من مشكلات العصر الاجتماعية، وشخصياته من الطبقة الوسطى أو طبقة العمال. وأجد أنَّ سبب اهتمام الروائي بالواقع ومشكلاته هو تفشي النظرة النفعية في المجتمع، والسعي وراء المال والمصلحة الفردية، فضلاً عن ان المجتمع قائم على الطبقية والتفريق بين ابنائهُ؛ لذلك آثر عدد غير قليل من الأدباء العراقيين الاتجاه نحو الواقع، كونه متخم بالمشكلات المتراكمة التي لم تُحل. هذا فضلاً عن كون الروائي العراقي كان يعاني من عزلة تامة قبل عام 2003، ولا يمتلك حرية التعبير ولا يستطيع الكتابة في الموضوعات كافة؛ بسبب السلطة وما يتبعها من قمع وتحديد ما يُكتب ويُنشر. أما بعد 2003 فقد انفتحت جميع الآفاق للروائي على العالم، وأصبح يعرف ويطلع على ما يجري في أبعد نقطة من العالم، وكذلك فُتحت أمامه جميع أبواب الحرية للكتابة والتعبير، ولم تكن هناك رقابة على المكتوب والمطبوع ومازالت، وأصبح الكاتب يقدم موضوعاته عن طريق نظرة تتسم بالذاتية تارةً وبالموضوعية تارةً أُخرى، وكلّ روائي يعمد الى تجسيد معاناته وعذاباته في نص سردي.

أما عن كيفية معالجة الرواية لمشكلات الواقع؛ فهذا الفن هو أكثر الفنون الأدبية لديها القدرة على محاكاة الواقع وتشخيصه ونقله سردياً، ولا تكتفي الرواية بمجرد الوصف بل تدمج الحقيقة بالخيال وتعيد صياغة القضايا الاجتماعية والسياسية والتاريخية ممّا يُتيح للقارئ فهمها من زوايا مختلفة وكذلك تشجع الروائي على التفكير في حلول مستقبلية أفضل. وكما ذكرتُ في البداية أن الرواية تعمل كمرآة عاكسة لتحولات المجتمع؛ إذ يقوم الروائي بالبحث عن المسكوت عنه والمهمش والمكبوت في المجتمعات لالتقاط التفاصيل الدقيقة التي قد لا تُرى. كما أن الروائي يجسد القيم والمبادئ من خلال السرد، فيعمل على تقديم شخصيات وأحداث قابلة للتصديق وحقيقية تلامس هموم الأمة والوطن، لا أن ينقل الأحداث والشخصيات والزمان والمكان كما هي من دون تغيير فهذا لا يسمى إبداعاً بل هو توثيق للأحداث كي تبقى حية في الذاكرة ويبتعد النص بذلك عن كونه رواية لأن الكاتب لم يحقق أهم ركن من أركان العملية السردية وهو الخيال ودوره في إضفاء لمسة فنية إبداعية للأحداث التي يرويها وهذا ما تحقق في رواية(قمر أحمر على سبايكر) التي سندرسها فيما بعد.

كما أن الروائي إذ لم يوفر فضاءً روائياً واسعاً للقارئ لكي يشارك في صناعة الأحداث ووضع النهايات المناسبة إذا ترك الروائي نصه مفتوحاً على التأويلات المتعددة التي تختلف من متلقٍ الى آخر، لأنه يُتيح للقارئ الهروب من ضغوط الحياة والعيش في أجواء الرواية والتفاعل معها ممّا يساعده في التخلص من مشاعر القلق والاكتئاب وتعزيز الصحة النفسية من خلال العيش مع شخصيات خيالية ليست من الواقع لكنها تعالج وتطرح مشكلات الواقع التي يعاني منها القارئ وتأخذ بيده نحو إيجاد حلول مناسبة في بعض الأحيان، أو قد تولد عنده أفكار إبداعية مختلفة تعينه على مصاعب الحياة.

إنَّ الأدب الواقعي هو الأدب الذي يقوم على ملاحظة الواقع وتسجيله دون إسراف في التخييل أو العواطف، وهو الأدب الذي يأخذ موضوعاته ونماذجه من بين أفراد الشعب أي الطبقات الدُنيا بعيداً عن الطبقات الرفيعة في وصفها الاجتماعي.[12] فهذا النوع من الأدب يُشير الى توجه فنيّ وأدبي يسعى إلى تقديم صورة موضوعية للواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي الذي يعيشه الانسان العربي، ويعتمد هذا الاتجاه على تصوير العالم كما هو، بكلّ ما فيه من تناقضات وأزمات وتحولات من دون اللجوء الى الزخرفة المثالية المفرطة[13]. لكن في الوقت ذاته يجب أن تعيد الرواية بناء الواقع من خلال أدوات فنيّة تُحافظ على البُعد الإبداعي للنص دون أن تفقده طبيعته، كذلك يعيد بناءه وفق رؤية فنية تعكس حساسية الكاتب وموقفه من العالم، ولذلك يتحقق التصوير الواقعي حين ينجح الكاتب في استحضار تفاصيل الحياة بطريقة تُقنع القارئ بواقعية النص، دون أن يفقد النص ذاته وطبيعته الفنية والإبداعية[14].

أما القضايا الواقعية والمشكلات التي سلطت عليها الرواية العراقية الضوء وهي موضوعات: (الفقر، الطائفية، الحروب، السلطة بتعدد أشكالها، العادات الاجتماعية القاسية، الأزمات النفسية والوجودية، الاغتراب، التهجير القسري، الحصار، الظلم والاستبداد، الصراع الطبقي) وغيرها من المشكلات التي بثها الكاتب في الرواية العراقية إذ جسد واقع الفرد ورصد التحولات التي يمر بها، وكذلك أظهر الروائي كيف تحول الواقع الى سبباً في تشوه نفسية الانسان العراقي، فقد تحولت الرواية العراقية من رصد الهوية والمكان في بداياتها الى توثيق أوجاع الحروب والحصار والتهجير القسري والعنف الطائفي، لتنتقل الى رصد قسوة الاغتراب والتعبير عنها أملاً في الحصول على الحرية داخل الوطن. وقد حدث هذا كله بسبب ما أفرزه تغيير النظام السياسي بعد 2003 فقد أثر ذلك بشكلٍ واضحٍ وصريح على المجتمع بكل أشكاله وبدوره انتقل هذا التأثير الى النصوص الأدبية. وبتعدد وتنوع أشكال السلطة في الرواية العراقية تعددت انعكاساتها، ولا يقصد بشكل السلطة الحاكم والمحكوم، بل كل ظواهر القهر والاضطهاد دفعت الى سلوكيات وظواهر اجتماعية مستجدة دائماً وفقاً لتلك المتغيرات الظرفية السياسية منها والاقتصادية وقد برزت تلك الظواهر بشكلٍ واضحٍ بعد الاحتلال، وما يعزز ذلك رجوع الروائيين العراقيين على أحداث ما قبل 2003 بطريقة الاسترجاع الى تلك السنوات

[11] ينظر: الاتجاه الواقعي في الرواية العربية السورية، سمر روحي الفيصل، اتحاد الكتاب العرب، دمشق- سوريا، 1986، ص: 21، وينظر: العجائبية بين الواقع والخيال، ص: 198.

[12] ينظر:الواقع الاجتماعي في رواية القلاع المتآكلة _لمحمد ساري_ دراسة بنيوية تكوينية (رسالة)، زواوي كهينة، جامعة البويرة ، كلية الآداب واللغات، 2015.ص: 13_14.

[13] ينظر: دراسة نقدية حول الواقعية في الرواية العربية، وائل عصام صيام، (مقال الكتروني)، 2025/11/9، WWW.nabdalarab.com

[14] ينظر: م.ن.

التي يمكن أن تعدّ من المسكوت عنه بفعل ما كانت تفرضهُ السلطة من رقابة على المنشورات[15]. وبذلك انتجت الرواية العراقية خلال هذه الفترة ارشيفاً سردياً للأحداث الواقعية لا أدباً، إذ ظهر لدنيا نوعاً جديداً من الرواية وممكن أن أُطلق عليه بـ(الرواية التوثيقية) إذ عمل الروائي على نقل الأحداث كما هي وكأنه يحمل كاميرا لتوثيق الأحداث، وصور الحروب والخراب والدمار وكذلك تفاصيل الحياة اليومية المهمشة وما تعرض له أفراد المجتمع بكلّ ما يحتويه بصورة واقعية بسيطة، وهذا أدى إلى أن تواجه الرواية العراقية في هذه الفترة وعكة بسبب الاستعجال في الكتابة وتحولها الى سلعة تجارية، ممّا يتطلب تجاوز عملية النقل الفوتوغرافي الذي يقوم به الكاتب العراقي للدمار إلى البحث عن معالجات حقيقية وفلسفية وفنيّة وجماليّة أعمق، وقد يرجع سبب السطحية في تناول موضوعات الواقع الى ثقافة الروائي ومستواه العلمي، وعدم امتلاكه مخزوناً ثقافياً يمكنه من تحويل مشكلات الواقع إلى نصوص إبداعية متميزة. ولا أغفل ذكر أنَّ الحرب أصبحت ثيمة أساسية مشتركة في الرواية من بعد 2003 فلا تكاد تخلو رواية عراقية منها، إذ عمل الروائي العراقي على بث معاناته ومعاناه ابناء شعبه عبر النص الذي يكتبه، فأنتجت نصوصاً مثقلة بالهموم والأوجاع والفقد، ولم يتخط الكاتب هذا الأحداث الى وقتنا الحالي. وهذا ما يسمى بالواقعية التسجيلية والتي تعتمد على: ((السرد الوثائقي الذي يسعى الى تسجيل الأحداث دون تدخل فنيّ كبير، كما أن هذا النوع من الواقعية تكتفي بنقل الواقع كما هو))[16].اذا تفتقر الواقعية التسجيلية في الغالب هنا الى التشكيل الفنيّ، وتسعى الى تقديم الوقائع كما حدثت أو كما رُويت، وهو ما يفقد النص بعضاً من عمقه الفنيّ رغم أهمية توثيق الأحداث.

الإطار الإجرائي

أما حدود البحث الإجرائية فقد اعتمدتُ فيه على ثلاث روايات عراقية وهي رواية (بائعة الجوز) للروائي جمال حيدر 2025، ورواية (المغفرة) للدكتورة غصون فالح إبراهيم 2023، ورواية (قمر أحمر على سبايكر) للكاتب جمال حيدر2023، واتخذت من المنهج الوصفي التحليلي سبيلاً في قراءة النصوص السردية، معتمدة في التحليل على ما جاء في الكتب النقدية السردية التي تخص الواقع وتمثلاته.

ففي رواية (قمر أحمر على سبايكر) للروائي جمال حيدر الصادرة عن دار لندن عام 2023، والتي تدور أحداثها حول مجزرة سبايكر التي حدثت عام 2014م والناجين من هذه الحادثة، إذ يقول الروائي واصفاً إياها: ((هذهِ حكايات بعض الناجين من مجزرة سبايكر، أما آلاف الضحايا الذين ارتقوا إلى السماء، من الطافين في مياه نهر دجلة.... فقد دونت حكاياتهم القلوب التي لا تزال تنزف دماً ولوعة. حكايات بحجم وطن، بحجم تاريخه المسبي والغارق في المآسي))[17]. فهذه الرواية تقدم وجعاً لا يُنسى وحقبة تاريخية أدمت قلوب العراقيين وأوجعتهم ومازال هذا الوجع مستمر في كل مرة يمرّ اسم هذه الحادثة لأنه لا يمكن محوها حالها حال كلما حدث من مجازر في العراق . اعتمد الروائي على الواقعية التسجيلية مقدماً الأحداث بصورة عرض توثيقي من خلال حيث الأشخاص الناجين من المجزرة. أظهر الروائي في روايته ما يعانيه الشعب العراقي بعد الاحتلال من الفقر ومستوى المعيشة المتدني، فضلاً عن هشاشة الوضع السياسي والاقتصادي وغياب السلطة. لم يعتمد الروائي على الخيال في تقديم الأحداث الواقعية بل قدمها بالاعتماد على سرد وثائقي واقعي تسجيلي عن طريق تقسيم الرواية إلى تسعة فصول لتسعة ناجين يقدمون بالتزامن مع راوٍ عليم قصص نجاتهم، وكذلك ما حل بمن لم يستطع النجاة من الجنود المغدورين، إذ يقول (علي حسين كاظم) وهو أحد الجنود الناجين: ((أعلم أنا " علي حسين كاظم" سأموت، وأمام هذا الموت اسأل غفران الله وعفوه، اسأله ميتة أقل عذاباً بعدما تعذبت في مسار الحياة))[18] فثيمة الموت هي أولى ثيمات الرواية إذ نلاحظ عذابات الفرد العراقي ومعاناته في توفير العيش الكريم لعوائلهم حتى وإن كلف الأمر التضحية بحياتهم. ومع اعتماد الروائي على توثيق أحداث المجزرة بلسان حال بعض الناجين عن طريق السرد التوثيقي لا يغفل الروائي ذكر دور الشخصيات التي ساهمت ومدت يد العون للجنود الناجين وساعدتهم في الوصول إلى بر الأمان وإنقاذ حياتهم حتى أنهم عرضوا حياتهم للخطر وبعضهم فقد عدد من أفراد اسرته لأنه قدم المعونة لإنقاذ الجنود، ومن هذه الشخصيات (أم عمر) و (أم قصي) والشيخة (أُمية آل جبارة)، فيقول الراوي عن الناس اللذين قاموا بمساعدتهم: ((فاحت الأرض برائحة ناسها، بكرمهم. استضاف شبابُ المنطقة الجنود في بيوتهم، وغيروا ملابسهم لإبعاد دائرة الخطر عنهم، وتبديد الشبهة عنهم))[19]. أما عن حديث الرواي عن العراق وفساد السلطة المستشري في كل مفاصله يقول: ((يعلم حيدر مراد تماماً أن الفساد امتد في مفاصل البلاد... وأن المال العام ينهب ويهرب رسمياً خارج البلاد، جليّ في إدارة الدولة ومعالجة أزماتها الموروثة، فيما ملايين من الناس.. ناسه في الوسط والجنوب يتضورون جوعاً وهم يبحثون عن لقمة مغمسة بالكرامة))[20] فالروائي هنا يشخص علل الشعب العراقي وما يعانيه لكنه لا يُسعف القارئ في إيجاد الحلول المناسبة لذلك.

اعتمد الكاتب في روايته اسلوباً خاصاً قريباً من السرد التصويري، وكأنه يحمل كاميرا لتصوير الأحداث، ويرى بعض النقاد أن هذا الأسلوب يصلُح لكتابة فيلم سينمائي أكثر من كتابته بشكل رواية، إذ يسرد كلُّ ناجٍ حكايته على شكل مشاهد متعددة توزعت على أكثر من فصل، ممّا يسبب تيه القارئ وضياعه أحياناً في متابعة الناجي المعني، فالقارئ عادةً لا ينهي قراءة الرواية في جلسةٍ واحدة حتى تكون المشاهد حيّة في ذاكرته ليتمكن

[15] ينظر: تمثلات الواقع ومشاكله في الرواية، قراءة في المنجز العراقي بعد عام 2003، أريج كنعان حمودي، كلية الآداب، مجلة الآداب، ع:117، 2016. ص: 138
[16] دراسة نقدية حول الواقعية في الرواية العربية(مقال ألكتروني).
[17] قمر أحمر على سبايكر (رواية)، جمال حيدر، دار لندن، لندن_ برطانيا، 2023.ص: 5.
[18] الرواية، ص: 7
[19] الرواية، ص:112.
[20] الرواية، ص: 66.

من ربط مشاهدها مكوناً صورة كاملة لقصة الناجي، فقد عُدت الرواية عملا توثيقياً دقيقاً ومتميزاً في عرض أحداث واقعية لكن بدون معالجة واضحة وصريحة لهذه المشكلات وغيرها من المشكلات التي عرفتها الرواية.[21] كما أن الرواية أظهرت الرواية قوة وشجاعة الفرد العراقي في التضحية ومساعدة ابناء شعبه، فهذا (أبو حمد) يقول بعد أن مات ابنه غرقاً من اجل إنقاذ الجنود: ((لم يتحمل قلب حمد كل هذا الوجع.. وجع وصول الجنود إلى الضفة الأخرى، لم يمنحه الموت فرصة ليعبر بهم إلى ضفة الحياة، وليسجل في دفتر أيامه أنه أنقذ أرواحاً بريئة. ليأتي الموت أسرع، أتى من دون موعد.. اقتحم الوقت بسرعة لافتة ليفرض وجوده. يأتي الموت عادة صامتاً ومتسللاً بهدوء، ويغادر بصمت وهدوء أيضاً))[22]، ويقول أيضاً: ((رغم الأنين الذي يحاصر " أبو حمد" بعدما سرق الموت ابنه، لكن قلبه سكن قليلاً إثر وصول الجنود الشباب إلى بيت "أُم قصي" إطمأن وأعلن انتصاره لبشر لا يعرفهم.. إطمأن تماماً بعدما وصلت الأمانة إلى مستقرها..))[23] فحادثة غرق (حمد) وموته من أجل الجنود تُبين للمتلقي مدى قوة العلاقات الاجتماعية بين أبناء الشعب الواحد وتضحيتهم من أجل كرامتهم وعزتهم في وجه الأعداء.

وممّا يُلفت النظر في هذه الرواية أن الروائي يتنبأ بفواجع قادمة للعراق غير هذه الفاجعة عن طريق إحدى الشخصيات، ويقول حسين: ((كنت مؤمناً بأن أطفالنا سيكبرون وسيبحثون عنا إن تم قتلنا، سيواصلون البحث عن مقابرنا الجماعية.. سوف يعكر صفو حياتهم غيابنا المبكر، وسيعلمون أن هذهِ الأرض ارتوت بدمائنا، وستزهر ورداً حمراء قانية الدماء التي سالت. سيربطون فجيعتنا بأخرى مقبلة، فليس من نهاية للفواجع))[24]. وبعدها تتحقق نبوءة الروائي في ما سيحدث بعد حادثة سبايكر ترويها شخصية أخرى ويقول: ((تذكر " واثق شاكر مجيد" تلك المجزرة المفزعة، ولكنه لم يعلم حينها ما ستشهده الكرادة بعد عامين))[25].

أما عن رواية المغفرة للكاتبة (د. غصون فالح إبراهيم)الصادرة عن دار النسر للنشر، عام 2023م فتدور أحداثها في القرن السابع عشر في روما بلغة شعرية عالية تحمل طابع الرومانسية لكن بنكهة تاريخية من خلال حديثها عن الفترة المظلمة التي عاشتها اوروبا في القرن السابع عشر وكأن الكاتبة تقول أن الشعوب كلها والمجتمعات كافة عاشت نفس ظروف الفقر والاضطهاد والبحث عن العيش بكرامة، وتنسب ابداع الكتابة الى الظروف القاهرة التي يعاني منها الإنسان بحثاً عن طوقِ نجاة، فتقول: ((أشكر الحروب، المآسي، والعنف، والفقد، والخيبات لأنها فجرت في نفسي مكامن الألم، وترجمته إلى كلمات))[26] فالكاتبة ترى أن الإبداع يولد من رحم المعاناة والألم، ولا بد أن يبقى الانسان باحثاً عن الغفران لكي يعيش سلاماً أبدياً وتهدأ روحه وتهنأ بالعيش، ولا يحدث ذلك إلا عن طريق السير في درب الرَّب، وقد اعتمدت الروائية في تقديم أحداثها على شخصيات من الديانة المسيحية، وتقول إحدى الشخصيات وهو الأب فانوتشي: ((أنا سأدُلكِ على الدرب، وما عليك سِوىأن تسيري فيه بقلبٍ طاهر ونية صادقة؛ لأن طريق الرب مفتوح دائماً للتائبين، والرب يرحب دائماً بالعائدين إليه))[27]، وتسير الرواية على هذا المنوال في البحث عن إجابات لوجود الانسان وحياته ومن ثم مماته مصحوبةً بشعور الخيبة والخذلان بسبب الفقر والظروف القاهرة التي يعاني منها الإنسان منذ بدء الخليقة الى يوم القيامة بحثاً عن السلام الأبدي وهذا لن يتحقق إلا عن طريق السير في طري الرب وطلب المغفرة، والروائية هنا تضع حلاً لهذا الضياع، فمع الله (عزوجل) ينجلي الهم ويتحقق السلام وترضى بالقدر وبما هو مكتوب لأن الايمان عندما يرسخ تترسخ معه القيم والأخلاق الحميدة التي توصل الانسان الى الطريق السليم.

وفي رواية (بائعة الجوز) لجمال حيدر الصادرة عن دار لندن عام 2025م، فتدور أحداثها عن شخصيتين رئيسية هما (أمير) السائح القادم من لندن الى مومباي، و(ريما) بائعة الجوز التي يلتقيها وتجمعهما علاقة حب قصيرة يضطر بعدا الى الرجوع من حيث جاء تاركاً في بطنها جنيناً منه، وهي بائعة متجولة في الشارع، تعاني من الوحدة غير سلة الجوز التي تعتبرها انساناً وتتحدث إليها وتبث لها شكواها بسبب صعوبة الحياة والفقر الذي تعاني منه. وهي قصة واقعية لكن الروائي يبتعد بها عن العراق بلده، ويحاول أن يسلط الضوء على مجتمعات مختلفة من العالم لكنها تشترك في الفقر والحرمان والتهميش والحاجة الى العيش بكرامة وحرية. ويقول الراوي العليم في وصفها: ((فتاة في مطلع العشرينات أو ربما أصغر بقليل، من عمرها تتربع على الرصيف المقابل للفندق تبيع الجوز في سلةٍ كبيرة، تحملُ جمالاً هندياً خالصاً))[28]. وفضلاً عن سرد الراوي للأحداث يفسح الكاتب المجال للشخصيات لكي تروي أحداث حياتها وما تواجهه من ضياع وفقر وتشتت وعن طريق كلام الشخصيات تظهر المقارنة بين الشرق والغرب بين من ذهب يبحث عن الحب والاحتواء متمثلاً بأمير الذي يعيش حياة الرفاهية والراحة في مجتمع أوربي وبين من تبحث عن لقمة العيش الفتاة الشرقية الهندية (ريما) وتعيش على هامش الحياة؛ إذ تقول: ((بدأتُ ببيع الجوز بديلاً عن جدتي، أُنهض حين تكون خيوط الفجر الأولى لم تتبلج بعد، أضع الجوز في السلةِ أولاً وأغطيه بقطعة من الخيش.. وأشربُ الشاي بالحليب .. مع قطعة خبز يابسة، هذا هو

[21] ينظر: قمر أحمر على سبايكر في الكشف عن الفجيعة
[22] الرواية، ص: 40.
[23] الرواية، ص: 40.
[24] الرواية، ص: 23
[25] الرواية، ص: 120
[26] المغفرة، د. غصون فالح إبراهيم، دار النسر للنشر، ط1، الشارقة_ الامارات، 2023. ص: الإهداء.
[27] الرواية، ص: 12.
[28] بائعة الجوز، جمال حيدر، (رواية)، دار لندن للطباعة والنشر، لندن _ بريطانيا ،2025. ص:12

فطوري))[29]. وفضلاً عن ذلك يبث الروائي جمال حيدر اسئلتهُ الوجودية عن الحياة والموت وكذلك الأديان والمعتقدات واختلافاتها والاغتراب الذي يعيشه الانسان والوحدة حتى وإن كان يعيش في وسط المدن الكُبرى كحال مدينة (مومباي)، فتقول ريما: ((.. وحين أفكر بوحدتي ينخر الأسى روحي. مومباي.. سلبت مني كلّ شيء، لم تمنحني هذه المدينة أيّ شيء يذكر، سوى الفقر والوحدة والخوف من الآتي))[30]، معاناة الانسان واحدة مهما اختلفت الثقافات والاديان والمعتقدات ومهما تبدلت المدن، فإنه يجتمعون ويشتركون في صفة الإنسانية. كما أن الروائي يظهر أهمية الهامش إذ ترك ما تتمتع به حياته من مميزات ورفاهية وبحث عن الحب وعن نصفه الذي يتوحد معه ويمنحه الحب في مجتمعات فقيرة جداً عسى أن يجد الطمأنينة والسكينة التي لم يجدها في حياة المركز.

من خلال دراسة النماذج المختارة من الرواية العراقية أجد أن الروائي العراقي في نصوصه لم يقدم حلولاً لمشكلات المجتمعات بكلِّ اختلافاتها بين الشرق والغرب، وقد اكتفى بتصوير الأحداث وتشخيص المشكلات التي تكاد تكون متشابهة في أغلب النصوص السردية سواء كانت هذه المشكلات سياسية أو دينية أو اجتماعية أو اقتصادية. كان أملي أن أجد سرداً مختلفاً للرواية العراقية الحديثة عن سابقاتها من خلال طرح موضوعات جديدة غير الموضوعات التي كُتبت من بعد 2003 لكنني أجد أن الروائي العراقي ما يزال يسير على نفس المنوال في كتابة الرواية، ولكن ما لفت انتباهي هو ظهور نوع جديد من الرواية ويمكن أن أُطلق عليها بـ (الرواية التوثيقية)، وثق فيها أحداث الحروب والمعارك والمآسي والفقر والضياع والتشتت والانقسام الى طوائف مختلفة وكأن الروائي لا يريد للذاكرة أن تنساها، ولم يقدمها بنكهة خيالية إبداعية فنيّة ، بل وثق الكاتب الأحداث ليجد القارئ نفسه أمام عرض سينمائي أكثر من كونه عمل أدربي، لأن العمل الروائي في الأصل يقوم على: ((موازنة إبداعية فنيّة تخييلية للواقع والتاريخ، موازاة فاعلة، بمعنى أنها لا تقتصر على النقل الواقعي التسجيلي، وإنما تنزع إضافة الى ذلك الى البحث عن حلول مآزق العالم، وهذا دأب الرواية العظيمة التي تتنوع معالجتها وحلولها))[31].

النتائج:

_ إنَّ رواية ما بعد التغيير العراقية لم يكن لها التأثير الكبير على طبائع المجتمع، ولا على مشكلاته العميقة التي يعاني منها لسنواتٍ طوال، على الرغم من أنها وثقت مشكلات كبيرة مرت بالبلد وما يزال الواقع ملغوماً ومُثيراً للأسئلة، ولا يخفى أن ذاكرة الرواية وسردياتها مهما كانت تظلُ خاضعة لشروط الفن لمواجهة لتاريخ.

_ يكمن دور الرواية العراقية في تسليط الضوء على مشكلات الواقع لا حلها، فأغلب الروائيين العراقيين ينطلقون من الواقع في صياغة أحداث النص، لكن القليل جداً من يحاول أن يضع الحلول المناسبة لمشكلات المجتمع، وكأن الرواية أصبحت أداة عرض أو أداة تذكير بما عاشه ويعيشه العراقيون لا مساعدته في إيجاد الحلول.

_ انتجت الرواية العراقية خلال هذه الفترة ارشيفا للأحداث الواقعية لا أدباً، ما عدا القليل من الأدباء الذين انتجوا نصوصاً روائية ممتازة.

_ الرواية العراقية هي رواية واقعية تسجيلية لا واقعية أدبية، عمل الروائي فيها على نقل الصورة مباشرةً من دون معالجة.

_ افتقرت الروايات الى التشكيل الفنيّ، وهذا من أفقد النص عمقه الفنيّ رغم أهميته التوثيقية.

_ اعتمد الروائي على العرض البسيط للأحداث ولم يحفز القارئ على الفهم والتأمل والمشاركة في صناعة الحدث.

الروايات:

_ المغفرة، د. غصون فالح إبراهيم، دار النسر للنشر، ط1، الشارقة_ الامارات، 2023.

- بائعة الجوز، جمال حيدر، (رواية)، دار لندن للطباعة والنشر، لندن _ بريطانيا ،20251-

قمر أحمر على سبايكر (رواية)، جمال حيدر، دار لندن، لندن بريطانيا، 2023

[29] الرواية، ص: 34
[30] الرواية، ص: 39
[31] الرواية الاستقصائية، ص: 50_51.

المصادر والمراجع:

عصفور، جابر .(1999) .الزمن في الرواية .الهيئة المصرية العامة للكتاب.

إبراهيم، سلام. (2012). الرواية العراقية: رصد الخراب في أزمان الدكتاتورية والحروب والاحتلال وسلطة الطوائف (دراسة) .مجلة تبين، .(2)

الخديري، رشدي. (2022، 4 نوفمبر). الرواية والواقع.. أشكال العلاقة .ضفة ثالثةdiffah.alaraby.co.uk .

رحيم، سعد محمد .(2019) .الرواية الاستقصائية (تأصيل المصطلح وتطبيقاته سعد محمد رحيم أنموذجاً) .دار نينوى.

صيام، وائل عصام. (2025، 9 نوفمبر). دراسة نقدية حول الواقعية في الرواية العربية .نبض العربWWW.nabdalarab.com .

صالح، ميا فاخر. (2008). العجائبية بين الواقع والخيال .مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، 30.(2)

عصفور، جابر .(1999) .الزمن في الرواية .الهيئة المصرية العامة للكتاب.

فيصل، سمر روحي .(1986) .الاتجاه الواقعي في الرواية العربية السورية .اتحاد الكتاب العرب.

كاظم، نجم عبدالله .(2018) .جماليات الرواية العراقية (ط. 1). دار شهريار.

كنعان حمودي، أريج. (2016). تمثلات الواقع ومشاكله في الرواية: قراءة في المنجز العراقي بعد عام 2003 .مجلة الآداب، .(117)

نصر، عاطف جودة. (د.ت.) .الخيال: مفهوماته ووظائفه .الهيئة المصرية العامة للكتاب.

تشرنيتسفسكي. (د.ت.) .علاقة النص الجمالية بالواقع (ترجمة يوسف حلاق). وزارة الثقافة.

عبد الخالق، عمار. (د.ت.). هل واكبت الرواية العربية المتغيرات المجتمعية .جريدة الصباح.جريدة الصباح

كهينة، زواوي .(2015) .الواقع الاجتماعي في رواية القلاع المتآكلة لمحمد ساري: دراسة بنيوية تكوينية [رسالة]. جامعة البويرة، كلية الآداب واللغات.

جبير، محمد .(2019) .الرواية الاستقصائية (تأصيل المصطلح وتطبيقاته سعد محمد رحيم أنموذجاً) .دار نينوى.